أختي رفيقة دربي

ناهد ردايدة

كنت أستيقظ أنا وأختي ريما كل صباح سوياً، نتناول فطورنا ونجهز أنفسنا، وننطلق يدينا بيدي بعضنا البعض نحو المدرسة والضحك والحكايات هي رفيقنا الثالث. لكن في طريق العودة تعود كل منا برفقة إحدى صديقاتها. كانت أختي ريما رفيقة دربي ومصدر معرفتي وإلهامي وما زالت، فقد كنت أتعلم منها الكثير، وتساعدني على فهم الكثير من الأمور، كنا نتشارك معاً كل شيء من الضحكة حتى الدمعة.

كانت معلمة التربية الإسلامية، معلمة شديدة جداً، والجميع يخاف منها، كنت أسمع دوماً عن شدتها وقسوة تعاملها مع من لا يحفظ الآيات جيداً، وعندما بدأت تعلمني كنت أخافها جداً، فأضطر دوماً لحفظ ما تطلبه منا حتى أتجنب عقابها. في أحد الأيام، طلبت منا أن نحفظ إحدى السور، وهددت بأن العقاب هذه المرة لمن لم يحفظ سيكون مختلفاً، حيث ستجعله يقف أمام الإذاعة المدرسية، وأمام جميع طلاب المدرسة ويسمعها، عدت إلى البيت وأنا خائفة جداً من ذلك العقاب، وأمضيت الوقت أحفظ تلك السورة.

أما معلمة مادة الرياضيات فقد كانت لها قصة أخرى، حيث كنت ضعيفة في هذه المادة لدرجة أن الحصة كانت تشكل عبئاً كبيراً عليّ، فما أن تدخل المعلمة إلى الصف وتبدأ بقضم شفاهها عندما تكتشف أن بعضاً منا لم يحل الواجب المطلوب منه، أو لم يحفظ جدول الضرب الذي طلبته منا، حتى أبدأ في التوتر، وأعد دقائق الحصة وثوانيها حتى تنتهي، ويزول ذلك العبء عني.

كنت أحب المدرسة بسبب صديقاتي اللواتي كنت أقضي أجمل الأوقات معهن، وأستمتع وإياهن وبخاصة في حصة مادة التربية الرياضية. وعلى الرغم من أنني كنت أحبهن، فإنني كنت أشعر بالغيرة منهن، لأن مستواهن الأكاديمي أفضل مني، كما كنت أشعر برغبة كبيرة في أن أصبح مثلهن حتى وعدت أمي بأنني سأبذل قصارى جهدي في رفع مستواي التعليمي، والحصول على درجات أفضل. وهذا ما فعلته، حتى بدأت أرى نظرات الإعجاب في عيون معلماتي وزميلاتي في الصف، وحتى في الصفوف الأخرى، كأنهن الآن بدأن في رؤيتي. وبدأت أسمع الكثير من عبارات المديح والثناء، وبدأت أمي تشعر بالكثير من الفخر لما حققته.

في هذه الفترة، بدأت أعراض المرض الذي لم يمهل أمي كثيراً من الوقت يظهر بشكل متسارع عليها، حتى اختطفها منا، ما شكل لنا صدمة كبيرة، فزاد التحدي بالنسبة لي بأن الوعد الذي قطعته لأمي، بأن أبقى متفوقة وأتابع تعليمي الجامعي، يجب أن أبقى عليه، وأنني سأجعلها دوماً

فخورة بي، حتى وهي موجودة في مكان آخر. هنا ارتبطت أكثر بأختي ريما، وأصبحت أنا وإياها نتقاسم الأدوار التي كانت تقوم بها أمي، ونحاول أن نسد الفراغ الذي تركته في العناية بالبيت، وفي تربية أخوتي الصغار. وهذا كله لم يثنني عن متابعة دراستي حتى نجحت في التوجيهي، ومن شدة حبي لمادة الجغرافيا، ولمعلمتها التي كانت تمدحني دوماً أمام زميلاتي في الصف، وتثني على إنجازاتي، قررت أن أتخصص فيها. حاولت متابعة الدراسات العليا إلا أنني تزوجت، وفي السنة نفسها حصلت على وظيفة كمعلمة في إحدى رياض الأطفال في مدرسة مجاورة. فرحت جداً بهذه الوظيفة، لأنني أحب الأطفال كثيراً، وأحب تدريس هذه المرحلة العمرية، فوجدت نفسي قريبة جداً منهم، وأستمتع بكل ما أقدمه لهم.

كنت أرى السعادة على وجوههم وأنا معهم، فأشعر بأن هذا ما أريده، وما رغبت فيه دوماً، وكانت أجمل العبارات التي يقولونها لي: «مس ناهد أنا كثير بحبك، نحن كتير مبسوطين اليوم، أنا ما بدي أغيب بكرة بدي آجي على الروضة».

جاءتني في أحد الأيام فرصة أن ألتحق في أحد برامج «القطان» الموجهة لمربيات رياض الأطفال، لم أتردد في القبول، فداومت على الحضور وتعلمت الكثير، تعلمت أن التعليم يمكن أن يقدم بطريقة سلسة وسهلة للأطفال وبخطوات بسيطة، ويمكن أن يوظف من خلالها أدوات كثيرة موجودة في البيئة المتوفرة دون أي عناء في تكليف الأشياء، فالسر في التعليم هو في بناء الثقة بين المعلمة وأطفالها أولاً، وإيجاد عنصر التشويق للأطفال ثانياً، ومن ثم احترام أن الأطفال يملكون من المعرفة ما يمكنهم من التعلم، وعلى المعلمة دوماً أن تعرف كيف تجد طريقها إليهم.

تعلّمت الكثير من خلال هذا البرنامج عن منهجية عباءة الخبير في التعليم، تعلمت طريقة طرح الأسئلة، وبدايات مختلفة للتعلم. جربت الكثير مع أطفالي، واكتشفت متعة التعليم، وقدرات أطفالي وتفاعلهم وامتلاكهم للكثير من المهارات التي لم أكن سأتعرف عليها بطريق تعليم أخرى. بهرت كثيراً بطريقة تعلق الأطفال بتعلمهم وديمومته، فهم يسترجعون ما تعلموه بسرعة ودون أي عناء، يتحاورون كما يتحاور الكبار، وينتظرون ما أحمله لهم بكل شغف وحب للتعلم.

روضة العيزرية النموذجية-العيزرية

جانب من مشاركة أطفال الروضة في أحد التطبيقات.